

ملتقى الشرق الأوسط ٢٠١٩  
٤-٦ نوفمبر/تشرين الثاني  
من أجل إنهاء الحروب والفوز بالسلام

الجلسة الثانية: الشرق الأوسط في كرة بلورية: مسارات وتوقعات

- سيد كاظم سجادبور، نائب وزير الخارجية الإيراني ورئيس معهد الدراسات السياسية والدولية.
- ماكسيم ماكسيموف، سفير روسيا في العراق
- مارتن هوث، سفير الإتحاد الأوروبي في العراق
- غالب دالاي، منتدى الشرق، إسطنبول
- تانيا گلي، نائب سابق في مجلس النواب العراقي (مدير الجلسة)



سلطت تانيا غلي الضوء على أن تاريخ الشرق الأوسط يتميز منذ فترة طويلة بالاضطرابات والانتقال. في حين أن المنطقة ليست غريبة عن النزاعات المتداخلة والعسيرة، فإنها تؤكد أن الديناميات الأخيرة أدخلت تعقيدات جديدة. أصبح المشهد الجيوسياسي للشرق الأوسط محفوقاً بالعسكرة والتهجير السكاني الجماعي والتشرذم المجتمعي، المليء بالكيبانات الإقليمية والعالمية المتنافسة، والمليئة بالدول الهشة والفاشلة. أوضح غلي أن هذه الجلسة ستركز على التطورات الجيوسياسية الأخيرة في العراق وشمال سوريا، وأن المشاركين في المناقشة يودون أن يروا كيف يواصلون التطور في الشرق الأوسط.

قال سيد كاظم سجادبور إن استراتيجيات معالجة الوضع في الشرق الأوسط تشمل تعديل العلاقات بين الجهات الفاعلة الرئيسية، وبناء المؤسسات، وتغيير السياق. وأشار إلى أن هناك العديد من الجهات الفاعلة في الشرق الأوسط على المستويات الفردية والمحلية والدولة والإقليمية والعالمية. ويؤكد أن سياسة الولايات المتحدة هي مصدر قلق خاص بسبب طبيعتها "الفوضوية" و "المشوشة" في عهد الرئيس ترامب. إذا تم تركها بدون تحديد، فقد تستمر هذه السياسة في "ضخ المزيد من عدم الاستقرار" في المنطقة. وكمثال على ذلك، أشار سجاد بور إلى أنه في الوقت الذي تدعم فيه الولايات المتحدة ظاهرياً ملاءة وسيادة الحكومة العراقية، فإن ردودها المتقلبة على المواقف بشأن إيران تهدد استقرار العراق. أكد سجادبور أن "العداوة الخطيرة" للولايات المتحدة تجاه إيران، نابعة من حقيقة أن إيران تدافع عن مصالحها الخاصة وتسهم في السلام والأمن في المنطقة. في رأيه، القدرة والثقة بالنفس في سياسة إيران الخارجية تساعد على تعطيل اجندات خارجية التي تحاول فرض مشاعر الدونية وانعدام الأمن على الشرق الأوسط. ولذلك جادل بأن الشرق الأوسط يحتاج إلى تدخل أقل من الجهات الخارجية، والمزيد من الاستثمار وبناء القدرات في المؤسسات المحلية. وأكد أن العلاقات والمؤسسات يجب أن تغير السياق. علاوة على ذلك، يجب أن تأتي أي تغييرات في السياق من الناحية العضوية، وألا تفرضها كيانات خارجية. لقد أحبط مفهوم "تغيير النظام" من الخارج، وكذلك التدخلات الخارجية التي تتداخل مع العلاقة بين الدولة والأفراد.

جادل سجادبور بأن علم النفس السائد في المنطقة يجب أن ينزع عن العاطفة ويتراجع. وأكد أنه على الرغم من أن الشرق الأوسط قد "أصبح مختلفاً"، فليس هناك ما هو خطأ في المنطقة. المطلوب هو "الثقة بالنفس الإقليمية" التي يمكن للشرق الأوسط تأسيسها بمفرده. وهكذا أكد سجادبور على أهمية الإحساس بالتزامن الجماعي من أجل تحقيق هذه الأهداف. وقال "علينا أن نعيش معاً، وعلينا أن نعمل معاً"، وحث جميع الأطراف على التعاون في تطوير بيئة أمنية جماعية في جميع أنحاء المنطقة.

"يجب أن نعمل بشكل جماعي من أجل تحقيق الأمن الإقليمي." - سجادبور

يوضح سجادبور أنه يدين تورط لاعبين "خارج المنطقة الإقليمية" في الشرق الأوسط. وأوضح أن التدخل الإيراني في العراق هو بناءً على طلب السلطات العراقية. وأصر، علاوة على ذلك، على أن إيران تعمل فقط مع الأفراد على مستوى الدولة. لقد انتقد سجادبور "المفاهيم الخاطئة" عن بلده، وحذر من الانخراط في التبسيط والتخفيض ولعبة اللوم، والمستمعين العاجلين لتفكيك الروايات التي تم إنشاؤها من أجلهم. وقال إن إيران صديقة للجميع في العراق، دون استثناء. أجنده إيران هي الأمن والازدهار ليس فقط لنفسها، ولكن لجميع جيرانها. وذكر المستمعين بأن إيران هي الأولى في القتال ضد داعش، وأن الأمن الإيراني مرتبط بأمن الجميع في المنطقة. وعليه، يجب إدارة العلاقة المهمة بين العراق وإيران لصالح الجميع.

لاحظ ماكسيم مكسيموف أن التطورات المستقبلية في الشرق الأوسط لا تزال صعبة التنبؤ، حيث يعتمد الكثير على وجود أو عدم وجود أدلة كافية في المنطقة. وسلط الضوء على السابقة القائمة من القضايا الإقليمية التي يتم تناولها من قبل التدخل، وتأسس على افتراضات خاطئة وعدم كفاية المعرفة الأساسية. استشهد بالولايات المتحدة وغزو العراق في عام 2003 كمثال واحد.

"التدخل غير المسؤول" في ليبيا، حيث انقسمت البلاد إلى مليشيا وظهرت ميليشيات لا تعد ولا تحصى، وسوريا، حيث أدت دعم المقاتلين الأجانب في الصراع ضد النظام إلى ظهور داعش في 2011 إلى 2014. أدان ماكسيموف التدخلات التي تفضل "استخدام القوة"، بحجة أنها تثير مزيداً من الصراع.

"من المهم أن يتصرف الفاعلين العالميين بمسؤولية تجاه القضايا في المنطقة." - ماكسيموف

مع وضع ذلك في الاعتبار، أكد ماكسيموف على أهمية إيجاد حل سلمي للنزاعات في سوريا. وأشار إلى أن التدخل غير اللائق في هذا السياق يمكن أن يتسبب في أضرار جسيمة للهياكل النفطية. وخلق المزيد من اللاجئين، وتعطيل العلاقات العرقية والدينية، وإخلال التوازن العسكري في المنطقة. لذا حث الفاعلين العالميين على التصرف بمسؤولية. على وجه الخصوص، حذر من تورط أولئك الذين ليس لديهم مخاوف مشروعة في المنطقة. يجادل ماكسيموف بأن تركيا لها أمنها الخاص بسبب وضعها كدولة جارة؛ في المقابل، ليس لدى الولايات المتحدة أي مخاوف صحيحة في المنطقة لأنها تبعد عدة آلاف من الكيلومترات. لقد كان القرار الصائب للولايات المتحدة لسحب قواتها من سوريا، كما أكد، ليست هناك حاجة لقوات أجنبية. وأدان النشر اللاحق للقوات الأمريكية لتأمين حقول النفط السورية باعتباره انتهاكاً للقانون الدولي. وقال إن هذه الموارد يجب أن تخص الشعب السوري، ويجب على الحكومة السورية السيطرة على جميع الأراضي بمجرد استقرارها.

عندما سئل ماكسيموف من قبل مديرة الجلسة عن اللجنة الدستورية السورية للأمم المتحدة لاستبعاد المكون الكوردي، أكد أن روسيا تريد أن ترى التعايش في الدولة السورية. يجب ضمان حقوق الأكراد السوريين. ولاحظ أن الكيانات الحكومية والأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني مدرجة في اللجنة، التي صممت لتسريع عملية إحلال السلام في المنطقة. إنه يعتقد أنه لا يوجد فرق في طريقة تعامل الناس مع عمل هذه اللجنة. اللاجئين السوريون، صرح ماكسيموف بأن روسيا قد شرعت بالفعل في عملية تشجيع اللاجئين على العودة إلى سوريا. وأضاف أن روسيا تبذل جهوداً لاستعادة الظروف المعيشية التي تحفز العودة. هذه ليست عملية سهلة، لأن أعداد اللاجئين مرتفعة للغاية. وأكد أن المجتمع الدولي، وخاصة الأمم المتحدة، ينبغي أن يساهم في هذه الجهود.

بدأ مارتن هوث تصريحاته عبر التعبير عن الصدمة والفرح إزاء الأحداث الأخيرة في بغداد. وأوضح أن أطروحات الاحتجاجات هي دليل على وحدة العراقيين حول نفس المخاوف والمطالب كرد فعل على صمت وشلل الحكومة العراقية. إن الشباب العراقي بشكل خاص، بغض النظر عن الانتماء، يفهمون أن المشكلات الحالية ليست حتمية بل ناتجة عن السياسة. لاحظ هوث أن "بصل" السياسة في الشرق الأوسط يجب أن يشرح من أجل فهم الأسباب الجذرية للصراع. في حالة هذه الاحتجاجات، فإن الأسباب الاجتماعية واقتصادية إلى حد كبير. بدل أن يكون العراق مزدهراً، لا يزال المحتجون يشعرون بالإحباط بسبب استمرار البطالة وعدم كفاية الخدمات والفساد المتفشي. الاحتجاجات هي علامة على عدم الثقة العامة وعدم الرضا عن سوء الإدارة المزمع وتدهور العقد الاجتماعي؛ أنهم بحاجة إلى اللاعنف والحوار.

رأى هوث أن السماسرة الحكوميين والإقليميين، وليس الشعب، هم المسؤولون عن الكثير من الخلل الوظيفي في الشرق الأوسط. لقد تحدى زملاؤه أعضاء الجلسة من إيران وروسيا، مدعياً أن "موقف القرن التاسع عشر" لا يزال حياً في الحكومات والأوطان ودول المنطقة. في رأي هوث، تركة إيران في الشرق الأوسط تتميز بسياسة خارجية انتهازية. وأشار إلى أن إنسحاب الولايات المتحدة من سوريا أعطت فرصة من هذا النوع. وأوضح أن روسيا متورطة عسكرياً في سوريا. من الواضح، إذن، أين يكمن موضع المسؤولية. وضغط على زملائه من أعضاء الجلسة لتوضيح التفاصيل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لأجندة دولهم، بما يتجاوز مفاهيم

القوة والسيطرة، وإثبات شرعية مواقفهم في السياسة الخارجية. وذكر المستمعين بأن السلطة والسيادة ليسا امتيازات بل واجبات ومسؤوليات.

*"السلطة والسيطرة تستلزم المسؤولية. إنها واجبات وليست مجرد امتيازات" -مارتن هوث*

أوصى هوث بأن تقوم الكيانات الإقليمية ببناء المؤسسات، وتشكيل أحزاب سياسية حقيقية بدلاً من أندية طائفية، والعمل على مفهوم المواطنة، والعمل على الاقتصاد، والتركيز على الجمع بين الناس. عند سؤاله عن إشراك المرأة في عملية بناء السلام، أوضح هوث أن "الاستقرار" في هذه المنطقة يتم تعريفه في الغالب بتركيز أمني قوي. وانتقد هذا المفهوم للاستقرار كنموذج ثابت، وجادل بأنه كان نهج ديناميكي، والذي يستلزم إجراء حوار مستمر حول الصالح العام على الصعيدين السياسي والاجتماعي. وأكد أن الحديث عن الصالح العام يجب أن يكون شاملاً. وجود المرأة ومشاركتها أمر أساسي للغاية في هذه العملية.

نفى غالب دالاي أن يكون الشرق الأوسط في "مرحلة ما بعد الأزمة". ولإثبات وجهة نظره، ذكر الأثار الحتمية لتغير المناخ وندرة المياه على العلاقات بين الدول. وقال أيضاً إن أعلى نسبة من إجمالي الناتج المحلي أصبحت شائعة بشكل متزايد في الشرق الأوسط. وفي هذا السياق، أبرز انتشار التحالفات القائمة على القضايا في الآونة الأخيرة، والمبنية على الاهتمامات المشتركة بدلاً من المصالح. وقال إن الأنظمة المحلية والإقليمية ترسم عقد اجتماعي مشروع. هذا لا يخلق التوتر فقط بين السلطات والناس، ولكن أيضاً الشكوك بين الكيانات المجاورة التي لا يمكن الوثوق بها لإنشاء علاقات مستدامة. كل هذا هو دورة انتقالية مستمرة، تسعى فيها جهات فاعلة متعددة إلى زيادة الوزن النسبي للقوى الإقليمية من أجل التنافس على السيطرة السياسية. هذا التوازن المتقلب للجهات الفاعلة الحديثة وغير الحكومية يمنع الشرق الأوسط من الدخول بنجاح في مرحلة ما بعد الأزمة.

*"معظم القوى هي سجناء نقاط ضعفهم الخاصة بهم وصراعات الأمم" - غالب دالاي*

وفقاً لدالاي، المطلوب هو منظور متعدد المراكز. مشاريع بناء الأمة الحالية داخله في أزمة أيديولوجية، حيث تفشل الدول الفردية في تكوين رؤية إقليمية يمكن أن تعمل للجميع. لا يمكن أن يعتمد الأمن القابل للتطبيق داخل المنطقة على استبعاد أو تقييد قوة أو أخرى، ومن المستحيل وجود أمن مستدام في الخليج دون انضمام إيران والعراق. لذلك، ينبغي أن تكون فكرة الشمولية في صلب أي استراتيجية أمنية إقليمية. إلى أن يتم اعتماد منظور متعدد المراكز، سيستمر البحث عن عقد اجتماعي إقليمي جديد.

وأضاف دالاي أن "الاستقرار"، في سياق الشرق الأوسط، يعني تقليدياً نجاح الدولة على حساب الشعب. لا يمكن تحقيق الاستقرار الدائم بهذه الطريقة، لأنه فشل في تأمين الصالح العام ويعمق مظالم السكان. يسوق الآن القمع الاستبدادي على أنه يولد الإستقرار. لقد ظهر علم نفس سياسي جديد، يدرك أنه لا يوجد استقرار بدون تغيير. يجب على القوى الإقليمية صياغة رؤية للمستقبل حيث يأخذ الشعب في الحسبان.

*"الركود على حساب التحول هو مفهوم خاطئ" - دالاي*